

## الدرس (32) من شرح القواعد الحسان المتعلقة بتفسير القرآن

خالد المصلح

القاعدة السابعة والخمسون في كيفية الاستدلال بخلق السماوات والارض وما فيها على التوحيد والمطالب العالية قد دعا الله عباده الى التفكير في هذه المخلوقات في ايات كثيرة. واثنى على المتفكرين - 00:00:00

في مال واخبر ان فيها ايات وعبرات فينبغي لنا ان نسلك الطريق المنتج للمطلوب بايسر ما يكون واوضح ما يكون وحاصل ذلك على وجه الاجمال اننا اذا تفكرنا في هذا الكون العظيم عرفنا - 00:00:20

انه لم يوجد بغير موجود ولا يوجد نفسه. هذا امر بدبيهي. فتيقنا ان الذي اوجده الاول الذي ليس قبله شيء كامل القدرة عظيم السلطان واسع العلم. وان ايجاد الادميين في النشأة - 00:00:40

في الثانية للجزاء اسأل من هذا بكثير. لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس. وعرفنا انه الحي القيوم. واما نظرنا ما فيها من الاحكام والاتقان والحسن والابداع. عرفنا بذلك ما لا حكمة الله وحسن خلقه وسعة علمه. واما رأينا ما فيها من المنافع والمصالح 00:01:00 الضرورية والكمالية -

التي لا تعد ولا تحصى عرفنا بذلك ان الله واسع الرحمة عظيم الفضل والبر والاحسان والجود والامتنان. واما رأينا ما فيها من التخصيصات فان ذلك دال على اراده الله ونفوذه - 00:01:30

ونعرف من ذلك كله ان ان من هذه اوصافه وهذا شأنه هو الذي لا يستحق العبادة وانه المحبوب المحمود. ذو الجلال والاكرام 00:01:50 والاصفات العظام. الذي لا تتبعي الرغبة هو الرهبة الا اليه. ولا يصرف خالص الدعاء الا له. لا لغيره من المخلوقات المرغوبات المفتقرة -

الى الله في جميع شؤونها. ثم اذا نظرنا اليها من جهة انها كلها خلقت لمصالحتنا. وان انها مسخرة لنا وان عناصرها وموادها وارواحها قد مكن الله الادمي من استخراج اصناف المنابر - 00:02:20

منها عرفنا ان هذه الاختراعات الجديدة في الاوقات الاخيرة من جملة المنافع التي خلقها الله بنى ادم فيها فسلكتنا بذلك كل طريق 00:02:40 نقدر عليه لاستخراج ما يصلح احوالنا منها بحسب -

ولم نخلد الى الكسل والبطالة او نضيف علم هذه الامور واستخراجها الى علوم باطلة بحجة ان الكفار سبقوا اليها وفاقوا فيها. فانها كلها كما نبه الله عليه داخلة في تسخير - 00:03:00

للله الكون لنا وانه يعلم الانسان ما لم يعلم. طيب هذه القاعدة قاعدة مفيدة تبين منهج القرآن في الانتفاع بالآيات الخلقية الكونية التي جعلها الله سبحانه وتعالى دليلا على وحدانية - 00:03:20

فيه سبحانه وتعالى وابتدا المؤلف رحمه الله بقاعدة مهمة يتبيّن بها تميّز طريق القرآن عن غير من الطرق في معرفة رب سبحانه وتعالى. يقول فينبغي لنا ان نسلك الطريق المنتج للمطلوب بايسر ما يكون واوضح ما يكون - 00:03:40

ينبغي لنا على ان نسلك الطريق الذي يوصل الى المطلوب باسهل طريق وباسهل سبيل لا يكون فيه عناء ولا يكون فيه بمقدمات لا فائدة فيها. هذه هي طريقة القرآن الكريم. وهي الدالة على الله عز وجل من ايات - 00:04:00

واضحت باسهل سبيل واسهل طريق. بخلاف غيره من الطرق وبخلاف غيره من الوسائل التي سلكها اهلها. ثم بين هذا الطريق تفصيلا

فقال ان طريق القرآن يقرر اولا توحيد الربوبية ولذلك قال وحاصل ذلك على وجه الاجمال اننا اذا تفكرنا في الكون العظيم عرفنا انه لم يوجد بغير موجب فدل - 00:04:20

ذلك على اي شيء على الرب جل وعلا الخالق لهذا الكون الرازق المدبر المالك ثم عرفنا من ذلك انه قادر على الاحياء بعد الموت. قادر على الاحياء بعد الموت لانه من قدر على الانشاء - 00:04:50

العدم فهو اقدر على الاعادة بعد الخلق. ولذلك قال الشيخ وان ايجاد الادميين في النشأة الثانية للجزاء اسهل من هذا بكثير وهذا من قضايا توحيد الربوبية وهي او وهو الاقرار بالبعث بعد الموت. ايضا - 00:05:10

يفيدنا النظر في الآيات الخلقية من الشمس والقمر والنجوم واختلاف الليل والنهار غير ذلك من الآيات المشاهدة في الافق وفي الانفس يفيدنا المعرفة بصفات الرب سبحانه وتعالى. لأنها تدل على كمال الاتقان والاحكام والحسن والابداع. وهذا يعرفنا بكمال حكمة الله عز وجل وحسن خلقه وما ذكره - 00:05:30

رحمه الله من الاوصاف فنستدل بالكون على عظيم صفات الخالق سبحانه وتعالى. فإذا استقر في القلب انه لا خالق الا الله واستقر في المؤاذن عظمة هذا الخالق وانه لا نظير له استوجب ذلك ايش؟ استوجب ذلك - 00:06:00

افراده بالعبادة واخلاص العمل له. ولذلك قال الذي لا تنبغي الرغبة والرهبة الا اليه ولا يصرف خالص الدعاء له لا لغيره وهذا هو المقصود من من لفت الانظار الى الآيات الخلقية في السماوات والارض - 00:06:20

انفس حتى ينتفع منها الناس في الوصول الى هذه الحقيقة العظيمة وهي توحيد الله سبحانه وتعالى في ربوبيته وتوحيد سلطنته وتعالى في الهيبته وتوحيد سلطنته وتعالى في اسمائه وصفاته. لكن لا يمنع هذا ان يكون المقصود من الآيات - 00:06:40 التي امر الله فيها بالنظر الى هذا الكون ان ننظر فيها لنتتفع بما فيها من المنافع التي هي من مقتضى التسخير فيما يتعلق باقامة امر الدنيا. ولذلك قال الشيخ رحمة الله قد مكن الله الادمي من استخراج اصناف المنافع منها عرفنا ان هذه الاختراعات الجديدة في - 00:07:00

الاخيرة من جملة المنافع التي خلقها الله لبني ادم. فسلكتنا بذلك كل طريق نقدر عليه في استخراج ما يصلح احوالنا منها بحسب بالقدرة وهذا من تواعيد النظر لكن ليس هو المقصود الاساسي والواولي من الامر بالنظر في ملوكوت - 00:07:20

السماءات والارض في الآيات الخلقية والارضية النفسية. تبحث القاعدة. اذا ما المقصود من الامر ها يوسف المقصود بالنظر اخلاص العبادة لله التوصل الى وجوب توحيد الله عز وجل. طيب هل من الامر بالنظر في آيات الله عز - 00:07:40

هل يستفاد من الامر بالنظر في آيات القرآن؟ الانتفاع بما اودعه الله في هذه الآيات مما يقوم به امر الدنيا خالد هل من المقصود بالآيات التي امر فيها بالنظر في الكون؟ ان ان نستخرج ما في هذه الآيات مما تقوم به - 00:08:00

حياتنا هل هو مقصود او لا لكنه تابع يعني لا بأس ان نستفيد منها فيما يقيم مصالح الدنيا ولذلك ذكر مسألة الاختراعات والانتفاع في فيما يتعلق بالنظر في والاستدلال بخلق السماءات والارض على التوحيد. واضح يا اخوان او ليس بواضح؟ هل المقصود - 00:08:20 هل آيات قول الله عز وجل؟ قل انظروا ماذا في السماءات والارض. وما الى ذلك من الآيات التي امر الله سبحانه وتعالى افلا ينظرون الى كيف خلقت والى السماء كيف رفعت. من ما الفائدة من الامر بالنظر؟ اسأل الله الوصول الى وجوب افراد الله بالعبادة - 00:08:47 اثبات الكمال في الربوبية والالهية والاسماء والصفات للرب سبحانه وتعالى. طيب هل يمكن ان يقال انها ايضا تفید النظر في هذه الآيات للاستفادة منها في اقامة امر الدنيا؟ نعم الجواب نعم. فننظر في السماءات وما فيها من آيات وفي الارض وفي الانفس - 00:09:07

نستفيد من ذلك في اصلاح دنيانا. لكن هذا على وجه التبع لا وعلى وجه القصد الاول. نعم. اقرأ يا اخي. القاعدة الثامنة الخمسون اذا اراد الله اظهار شرف انبيائه واصفيائه بالصفات الكاملة اراهن نقصها في غيرهم من - 00:09:27

المستعدين للكمال وذلك في امور كثيرة وردت في القرآن منها لما اراد اظهار شرف ادم على الملائكة بالعلم وعلمه اسماء كل شيء. ثم امتحن الملائكة فعجزوا عن معرفتها. فحينئذ نباهم ادم عنها فخضعوا لعلمه وعرفوا فضله وشرفه. ولما اراد الله تعالى اظهار شرف يوسف - 00:09:47 وفي ساعة العلم والتعبير رأى الملك تلكرؤيا وعرضها على كل من لديه علم ومعرفة. فعجزوا عن معرفة ثم بعد ذلك عبرها يوسف

ذلك التعبير العجيب. الذي ظهر به من فضله وشرفه وتعظيمه - 00:10:17

الخلق له شيء لا يمكن التعبير عنه. ولما عارض فرعون الآيات التي ارسل بها موسى عليه السلام وزعم انه سيأتي بسحري يغلبه. فجمع كل سحار عالم من جميع أنحاء المملكة. واجتمع الناس في يوم عيده - 00:10:37

والقى السحرة وصيهن وحبالهم في ذلك المجمع العظيم. واظهروا للناس من عجائب السحر فسحروا اعين الناس واسترهبواهم وجاؤوا بسحر عظيم. فحينئذ القى موسى عصاه فاذا هي تلتف وتبتلع بمرأى الناس جميع حبالهم معايشهم. فظهرت هذه الآية الكبرى وصار اهل الصنعة اول - 00:10:57

من خضع لا ظاهرا وباطنا. ولما ظاهرا بالسجود وباطنا بان قالوا امنا برب هارون وموسى. والمقصود من هذه القاعدة ان الله سبحانه وتعالى يجري بلطيف حكمته نافذ قدرته ما يبيّن به فضل اوليائه. وذلك ببيان النقص في اعدائه - 00:11:27

امر يدركه كل احد انك لا تعرف الحسن الا اذا عرفت القبيح. ولذلك قال الشاعر الضد يظهر حسنة الضد وبضدها تتميز الاشياء. فاذا اردت ان تعرف حسنا وجميلا فضيلة الكرم فانظر الى سوء وشأن خصلة البخل وكذلك في كل خلق. الله سبحانه وتعالى - 00:11:57 يظهر شرف انبائه اصفيائه بالصفات الكاملة بان يري الناس النقص في مقابلة واذا تبين الكمال ان جذبت له النفوس بلا منازعة ولذلك ما كان من سحرة فرعون لما عرفوا السحر حقيقة وجربوه ومارسوه ورأوا الآية والبرهان الذي جاء به موسى عليه السلام الا -

00:12:27

اذعن له وانقادوا ظاهرا وباطنا وكان و كانوا اول من امن به. نعم. ولما نقص اهل الارض عن نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وتماماً عليه جميع اعدائه. ومكرروا مكرتهم الكبرى للايقاع به. نصره الله ذلك - 00:12:57

النصر العجيب فان نصر المنفرد الذي احاط به عدو الشديد القوي مكروه الذي جمع كل ليوقع به اشد واعظم النكبات وتخليصه وانفراج الامر له من اعظم انواع النصر كما ذكر الله هذه الحالة التي عاتب بها اهل الارض فقال الا تنصروه فقد نصره الله. اذا -

00:13:17

الذين كفروا ثانی اثنین اذ هما في الغار. اذ يقول لصاحبها لا تحزن ان الله معنا فانزل الله سكينته عليه وايده بجنود لم تروها. و قريب من هذا نصره اية يوم حنين - 00:13:47

حيث اعجبت الناس كثرتهم فلم تغنم عنهم شيئاً وضاقت عليهم الارض بما رحبت ثم ولو مدربين وثبت صلى الله عليه وسلم فانزل الله عليه سكينته ونصره في هذه الحالة الحرجية - 00:14:07

فكان لهذا النصر من الموضع الكبير ما لا يعبر عنه. وكذلك ما ذكره الله من الشدائدين لقول المؤلف رحمة الله فان المنفرد الذي احاط به عدوه الشديد حرده اي غضبه ولا شك ان مثل هذه الحال يتبيّن بها - 00:14:27

عظيم نصر الله لا اوليائه. لأن نصر المنفرد من ابعد ما يظن ويتوقع. فاذا وقع دل ذلك على عظيم قدرة الناصر. ونافذة ارادته سبحانه وتعالى. نعم. وكذلك كما ذكره الله من الشدائدين التي جرت على انبائه واصفيائه. وانه اذا اشتتد البأس وكاد ان يستولى - 00:14:47 على النفوس اليأس انزل الله فرجه ونصره. ليصير لذلك موقع في القلوب. ول يعرف العباد الغيوب ويقارب هذا المعنى انزاله الغيث على العباد بعد ان كانوا من قبل ان ينزل عليهم من قبله - 00:15:17

مبسين فيحصل من اثار رحمة الله والاستبشار بفضلة ما يملأ القلوب حمداً وشكراً وثناء الباري تعالى وكذلك يذكرهم نعمه بلفت انتظارهم الى تأمل ضدها. كقوله قل ارأيتم ناقض الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم. من الله غير الله يأتيكم به. قل ارأيتم -

00:15:37

جعل الله عليكم الليل سر마다 الى يوم القيمة. وتلمح على هذا المعنى قصة يعقوب وبنيه. حين اشتدت بهم الازمة ودخلوا على يوسف وقالوا قد مسنا واهلنا الضر ثم بعد قليل قال ادخلوا - 00:16:07

مصر ان شاء الله امين في تلك النعمة الواسعة والعيش الرقيق والعز المكين والجاه العريظ فتبارك من لا يدرك العباد من الطافه ودقيق بره اقل القليل. ويناسب هذا من الطاف الباري ان الله - 00:16:27

عباده في اثناء المصائب ما يقابلها من النعم لان لا تسترسن النفوس للجزع فانها اذا قابلت بين من المصائب والنعم خفت عليها المصائب وهان عليها حملها. كما ذكر الله المؤمنين حين اصيروا - 00:16:47

ما اصابوا من المشركين ببدر فقال اولما اصابتكم مصيبة قد اصابتم مثلها؟ وادخلا هذه الاية في اثناء قصة احد ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلاء فاتقوا الله لعلكم تشكرون ويبشر عبده بالخرج منها حين حين تباشره المصائب ليكون هذا الرجاء مخففا لما نزل من البلاء - 00:17:07

قال تعالى واوحينا اليه لتبين لهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون. وكذلك رؤيا يوسف اذا ذكرها يعقوب رجا الفرج وهب على قلبه نسميم الرجاء. ولهذا قال يابني اذهبوا فتح يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله. وكذلك قوله تعالى لام موسى واوحينا الى - 00:17:37 موسى نرضعيه فاذا خفت عليه فالقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني انا رادوه اليك اعلوه من المرسلين. واعظم من ذلك كله ان وعد الله لرسله بالنصر وتمام الامر هون عليهم - 00:18:07

وسهل عليهم الكريهات فتلقوها بقلوب مطمئنة وصدر منشحة والطاف الباري فوق ما يخطر بالبال او يدور في الخيال. اللهم لك الحمد. هذه كلها امثلة واضحة لهذه القاعدة. وخلاصة ان الله سبحانه وتعالى يظهر عظيم فضله واحسانه وبره بعباده وما خصمهم به - 00:18:27

لاظهار ما يكون في مقابلهم من النقص وفوات الكمال. وبهذا يظهر عظيم اختصهم الله به سواء كان ذلك في الاعداء او في الاحوال في الاعداء كما جرى في التمثيل الاول في اول هذه - 00:18:57

واما في الاحوال فذلك عند الشدائيد والمصائب. فتارة يذكر في المصيبة ما اصاب غيرهم وتارة يذكر في المصيبة بما حصل لهم من الفضل. ولو لم يذكر مصيبة غيرهم. وكل ذلك يظهر به عظيم المن - 00:19:17

ولطف الله سبحانه وتعالى بعباده. وهذه اسرار انما يهتدى اليها من استصحابها عند لكتاب الله عز وجل ونظره في سنته سبحانه وتعالى في عبادة الصالحين. بل في عباده كلهم لان - 00:19:37

سنة الله لا تختلف فهي مضطربة جارية. نعم. القاعدة التاسعة والخمسون ان هذا القرآن يهدي التي هي اقوم ما اعظم هذه القاعدة والاصل العظيم الذين صلى الله عليه نصا صريحا وعم ذلك - 00:19:57

ولم يقيدوا بحالة من الاحوال. فكل حال هي اقوم في العقائد والاخلاق والاعمال والسياسات الكبار والصغر والصناعات والاعمال الدينية والدنيوية فان القرآن يهدي اليها ويرشد اليها ويأمر بها ويحثها وعليها ومعنى اقوم اي اكمل واصلح واعظم قياما وصلاحا. طيب الشيخ رحمه الله يقول وعم - 00:20:17

ذلك ولم يقيده بحال من الاحوال. من اين استفادنا العموم؟ في الاية. من اين استفادنا العموم؟ عند الجواب يرفعه نعم يا ابا بكر يهدي التي هي اقوى. نعم. فجعل الهدایة الى وصف لا الى فعل او الى امر. الهدایة الى وصف وهو - 00:20:47

الاستقامة يهدي للاستقامة يهدي للتى هي اقوى يعني يهدي للاكمل في اي شيء؟ في كل شيء لم يقيده بشيء فجعل الهدایة الى وصف لا الى امر معين. والى وصف عام لا الى وصف خاص. وهذا وجه التعميم - 00:21:09

في هذه الاية ولذلك ادخل الشيخ رحمه الله في الاية كل ما يتعلق بحياة الناس وآامورهم الدينية والدنيوية في العقائد والاخلاق والاعمال والسياسات الكبار والصغر والصناعات والاعمال الدينية والدنيوية - 00:21:29

كل هذا القرآن يهدي الى التي هي اقوى فيه. نعم. ثم يبين ذلك على وجه التفصيل يقول فاما العقائد فان ان عقائد القرآن هي العقائد النافعة التي فيها صلاح القلوب وغذيتها وكمالها. فانها تملأ القلوب محبة - 00:21:49

للله وتعظيمها له والوهية وانابة. وهذا المعنى هو الذي اوجد الله الخلق لاجله. وعلى من القواعد النادرة في العقائد النافعة. ما الذي ينبغي ان يشتغل به الانسان في امور العقائد؟ ما ملأ قلبه محبة لله - 00:22:09

وتعظيمها له والوهية اي تعبدا وانابة اي رجوعا اليه سبحانه وتعالى. ما عدا هذا مما يبحث في مسائل الاعتقاد مما حاشاه المتكلمون فانه لا خير فيه لانه ليس من العقائد النافعة. لان العقائد النافعة هي التي احتواها القرآن - 00:22:29

انظر الى كل عقيدة ذكرها الله في كتابه تجدها تصب في هذه القاعدة وترجع اليها وهي انها تماماً قلوب العباد محبة لله وتعظيمها له والوهية وعبادة وانابة اي عبودية ورجوع اليه سبحانه وتعالى فكان - 00:22:49

القرآن يهدي لتي هي اقوم في العقائد. نعم. واما اخلاقه التي يدعو اليها فانه يدعوا الى التحلل بكل خلق جميل من الصبر والحلم والغفو وحسن الخلق والادب وجميع مكارم الاخلاق. ويبحث عليها بكل - 00:23:09

لطريق ويرشد اليها بكل وسيلة. نعم. يأتي بها اجمالاً وتفصيلاً. فمن الاجمال في مجتمع الاخلاق وكريم الخصال قول الله تعالى خذ العفو وامر بالعرف واعرض على الجاهلين. هذه اجمع آية - 00:23:29

في كريم الخصال وطيب السجايا والاخلاق. واتى الامر بحسن الخلق في كثيرة على وجه التفصيل في العلاقة بين العبد وربه في العلاقة بين العبد واقرب الناس اليه والديه وفي العلاقة - 00:23:49

مع اقاربه وجيئاته وغير ذلك حتى مع الكفار بين الله سبحانه وتعالى كيف يتعامل معهم المؤمن وكيف يتخلق معهم وكل هذا حواه القرآن فكان كما قال الله جل وعلا ان هذا القرآن يهدي لتي هي اقوم في الاخلاق نعم - 00:24:09

وما الاعمال وما الاعمال الدينية التي يهدي اليها فهي احسن الاعمال التي فيها القيام بحقوق الله وحقوق العباد على اكمل الحالات واجلها واسهلها واوصلها الى المقاصد. نعم. واما السياسات الدينية والدنيوية - 00:24:29

ويرشد الى سلوك الطرق النافعة في تحصيل المصالح الكلية وفي دفع المفاسد. ويأمر بالتشاور على ما لم تتضح مصلحته والعمل بما تقتضيه المصلحة في كل وقت بما يناسب ذلك الوقت والحال. حتى في سياسة العبد مع - 00:24:49

واهله وخدمه واصحابه ومعامليه. فلا يمكن انه وجد ويوجد حالة يتفق العقلاء انها اقوم من غيرها واصلح الا والقرآن يرشد اليها نصا او ظاهرا او دخولا تحت قاعدة من قواعده - 00:25:09

الكلية وتفصيل هذه القاعدة لا يمكن استيفاءه. نعم. وصية اي شرك تفصيل هذه القاعدة اي اه ان هذا القرآن يهدي لتي هي اقوى. وايضا يشير الى القاعدة التي اشار اليها في اخر كلامه قال آآ والقرآن يرشد - 00:25:29

اليها اي الى الاقوم نصا او ظاهرا او دخولا تحت قاعدة من قواعده الكلية. هذا فيه بيان دلالات القرآن انواع دلالات القرآن بل انواع دلالات النصوص من القرآن والسنة ثلاثة اما بالنص - 00:25:49

على الحكم واما ان يكون تكون دلالة النص على الحكم ظاهرة يعني تدل عليه لكن يتحمل ان ان يكون المراد غيرها. الثالث ان يدخل تحت قاعدة كلية. ان يدخل تحت - 00:26:09

قاعدة كلية. ولذلك على سبيل المثال في الشروط في شروط العقود. قال النبي صلى الله عليه وسلم كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل. استدل بهذا الحديث بعض العلماء على انه لا يجوز اشتراط ما لم يأتي في السنة جواز شرطه - 00:26:29

ولذلك ذهبوا الى ان الاصل في الشروط عدم الصحة واللزوم. وقابلهم جمهور اهل العلم قابل هؤلاء جمهور اهل العلم فقالوا الاصل في الشروط الصحة واللزوم. واما قول النبي صلى الله عليه وسلم كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل. فالمراد - 00:26:49

كل شرط لم يأتي ذكره في كتاب الله لا نصب ولا ظاهرا ولا دخولا تحت قاعدة كلية دل عليه الكتاب والسنة وقالوا معنى كل شرط ليس في كتاب الله اي انه معارض لما جاء في كتاب الله. اما اذا لم يعارض - 00:27:09

ما جاء في كتاب الله فانه مقبول. والاصل فيه الصحة واللزوم لعموم قول الله تعالى يا ايها الذين امنوا اوفوا بالعقود وهذا الامر يشمل العقد في اصله ووصفه. اصله اي موضوع اي - 00:27:29

الاصل ووصفه اي شروطه التابعة. له والتي اشترطت فيه. نعم. وبالجملة وبالجملة التفاصيل الواردة في القرآن وفي السنة من الاوامر والنواهي والاخبارات كلها تفصيل لهذا الاصل المحيط لهذا وغيره يتبيّن لك انه لا يمكن ان يرد علم صحيح او معنى نافع او طريق صلاحنا في القرآن - 00:27:49

الله تعالى ولي الاحسان. الحمد لله. نعم - 00:28:19